وحرية الصحافة العربية التي لا ترسف في مثل نكولها صحافة على وجه الارض حتى انه بات من العسير على اي جريدة لا تتاجر في ضمير ولا تتساهل في مبدإٍ ان تعيش اكثر من شهر او شهرين ، وقد اهمل المسيو فيوليت هذه المسألة الخطيرة ولم يتعرّض لها بتاتاً مع انه يعلم اكثر من سواه مقدار اهميتها وشدّة حاجة الوطنيين الى حلها حلا مرضياً يمكن الرأي العام الوطني من ان يظهر جلياً لا غبار عليه في حدود العدالة والقانون .

اما مشروع المسيو كيرنوت فعندنا انه اسم بلا مسمى لا ينيل الجزائريين شيئاً يذكر ولا يعود عليهم بأثر يحسن حالتهم ، وهناك من يذهبون الى انه مجرّد مناورة يراد بها اخفاق مساعي المسيو فيوليت وتخليد مشروعه في طيات الملفات الوزارية ، وقد نشايع هؤلاء في رايهم متى فكرنا في الظروف التي ولد فيها برنامج المسيو كيرنوت وفي الابهام الذي يتخلل فصوله وابوابه الطويلة التي تنوّعت عباراتها واجتمعت في معنى واحد لا شيء من شيء طويل .

هذا مخدّر ، وحياة ابيك ، ولكن هناك اعصاباً تانف التخدير (وكفاها منهم ما لقيت . . .)

فؤاد

نعم ! نتمنى أن تتبدل الاحوال في القطر الشقيق حتى لا يبقى للكاتب البارع سبيل الى تسميته بـ (المستعمرة) ولعله لا يتأتى ذلك الا اذا حذفت الولاية العامة وصارت شئون الجزائر بيد الحكومة المركزية كسائر المقاطعات الفرنسوية الاخرى ، ولكن لا شيء نراه من الممكن ما دام اخواننا في تلك البلاد العزيزة على ما هم عليه الآن من الشقاق والافتراق .

نادر شاه

ملك الافغان

نشرت جريدة « بتي باريزيان » بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٣٣ مقالا للكاتبة مدام أندري فيوليس الصحافية الاستطلاعية الشهيرة تحت هذا العنوان أحببنا أن نتحف به قراء (مجلة المغرب) وهو من ترجمة الكاتب القدير صاحب الامضاء وها هو المقال بنصه :

لقد اغتالوا نادر شاه ! خبر أغتياله لا يكاد يصدق ، وان كانت الاغتيالات السياسية من عوائد وتقاليد الافغان ، تلك البلاد الزاهرة ذات المآسي التي لا قيمة للحياة الانسانية فيها ، ومقتل الامير حبيب الله والد السلطان أمان الله لا زال عالقاً بالاذهان ، قتله أحد الضباط بطلقة مسدس على فراش نومه أثر دسائس سرّية لا زالت في طيّ الخفاء ، وربما لم يكن الضابط الا آلة في يد احد أقاربه ، وأمان الله نفسه لم ينج من الموت قسراً الا بركوبه متن الفرار والتجائه الى المنفى لأنه استعجل اقتحام شعب متؤخر متعصب ميدان الرقي ، ولا زالت جولته المظفرة بالاصقاع الاوربية عالقة بذاكرة كل احد ، أما نادر شاه ذلك الرجل الدمث الاخلاق ، الورع ، حبيب العدالة ، العطوف على الانسانية ، الذي لم يكن يتهور في ادخال الاصلاحات التي لا مندوحة عنها لبلاده رغماً عن شغفه بالحضارة الغربية كلّ الشغف ، يغتالونه ! يغتالون رجلا هذا شأنه ذاك ما نقضي معه بالعجب ، وتثور من أجله فينا العواطف !

ولم تمر على شرفي بمعرفتي اياه الا اربعة اعوام وبضعة اشهر ، حللت اذ ذاك بكابول عاصمة الافغان حيث وصلتها بالمنطاد قبل يوم استقباله لي ببعض ايام ، دخلتها تحت الطلقات النارية بين شعب ابيض الثياب هائج مائج وكان الدخان لا زال يعلو اطلال القلعة الضخمة الكائنة في قلب المدينة المسماة « الارغ » اذ نسفها الثوار نسفاً كما أنهم نهبوا القصور الملوكية والدور الخاصة والمفوضيات وعلى الاخص مفوضية فرنسا .

وقد التجأ باتشا ساقو ، ابن السقاء ، ذلك الباغي العنيف الى الفرار للجبال مع رفقائه بعد ما تربع مدة عشرة اشهر فوق عرش

مملكة هي من أقدم الممالك مسمياً نفسه حبيب الله . وقد كان يقول متفلسفاً : « كنت سارقاً ، فاصبحت سلطاناً ، فما عليّ ان جاءني الاجل ! »

وقد كان تقدّم لي ان تحدثت مع قائد الحرب المنتصر شاه والي خان الذي هو الآن وزير الافغان المفوض بباريس حيث صار محبوباً معروف القدر ، وقد حاصر كابول ودخلها عنوةً ، وحكى لي كيف أقنع نادر خان أخاه الذي كان يقيم في مدينة نيس بفرنسا سعيداً هادئاً ، اقنعه بعد تردد طويل بلزوم القيام بواجبه نحو وطنه وتداخله في شئونه والانتقام لشرف قومه ، واجلاء قاطع الطريق عن عرش الافغان الذي دنسه بتربعه فيه وصوّر لي كيف أقنع كذلك اخوانه بضرورية الحرب وبين لي الصعوبات التي طال أمدها في تلك الحرب المكللة بالانتصار .

وقد دخل نادر شاه بعد ذلك بيومين (١٥ اكتوبر) لكابول دخول الفاتح على رأس جيوشه فرجعت انحاء المدينة صدى الابواق الرنانة التي كانت تغطي هرج الطبول الممل وبينها أصوات المدافع وطلقات البندقيات وهتاف جمهور كثير العدد يملأ الفضاء ويصعد الى عنان سماء زرقاء فضية ، في أول الموكب كنت ترى محاربين طويلي النجاد يتقدمون وهم يغنون ويرقصون على نغم طبول وحشي يحركون بندقياتهم ويهزون بانتظام شعورهم الكثيفة وفي مؤخرهم بدى نادر شاه مستقيماً على جواد أبيض حريري الشعر ، عرفه وذنبه يتحركان في الهواء ، وقد كان مرتدياً بدلته الحربية معمماً ومتسربلا على زي الافغان وعليه سلهام من الجلد أسمر اللون فنزل عن متن فرسه حين وصل لباب القصر الملوكي المنهوب وتقدم الى قاعة العرش حيث كانوا قد أسرعوا الى اعداد بعض الكراسي ، فاحتشد رؤساء القبائل بين حيطان القصر العارية عن الزرابي والتصاوير التي كانت معلقة بها قبل نهبها وكان يخيل اليك وانت تسمع صدى هتافهم : ليحي المنتصر ! ليحي الغازي ! ان تلك القاعة ستنفجر .

فأمعن الغازي النظر في تلك المئات من الوجوه التي كان يلوح على ملامحها الاعجاب والاعظام المولية انظارها نحوه وارسل يده في الهواء وفاه ببعض جمل كلها وقار وتأثر مهنئاً نفسه وشعبه بذلك الانتصار الذي غسل عن البلاد كثيراً من العار وجعل حداً لما لا قته من نهب وتدمير وخراب وشكر القبائل والجنود المحافظة على مراسيم الاخلاص ثم دعى الله الذي سمحت عنايته للامة الافغانية باسترجاع مقامها بين الامم .

فقام كثير من الخطباء طالبين منه أن يستلم أعنة الامر في البلاد قائلين له ما معناه : « أنت الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يحكم بلاد الافغان باعتبارها بلاداً اسلامية ومستقلة متحضرة والسير بها الى مراقي الرقي مع المحافظة على عتيق تقاليدها » فلاحت على وجه نادر شاه لوائح التأثر العميق وبعد صمت قليل اجاب بعدم قبول اقتراح الخطباء قائلاً : « اذا كنت قد قمت بواجبي فما كان ذلك عن حاجة في النفس انما بعثني عن القيام بذلك ارادتي تخليص بلادي من العبئ الذي أثقل كاهلها ومنذ زمان وصحتي في انحراف ، فأضرع اليكم في تعيين غيري رئيساً لكم » فضجّ الحضور بالاحتجاج من كل جانب وافترق الناس جموعاً حتى قام وزير تركيا المفوض وهو أقدم المفوضين الذين لم يغادروا كابول اذ ذاك وأكد للغازي بانه لا يوجد أحد غيره جديراً بثقة العالم فيه وأعانه على ذلك قوم آخرون .

وبينما الامر كذلك اذا بضجة عظيمة سمعت في تلك الجماهير المحتشدة : وذلك أن قبائل المانكالية والوزيرية والافريدية والدورانية التي يتكوّن منها مجموع المحاربين في جنوب الافغان وفي شرقه يصيح افرادها ويهزون اسلحتهم فوق رؤسهم ويصيحون بأعلى أصواتهم : « اذا لم يبايع نادر شاه سلطاناً علينا فاننا نذهب باجمعنا ثائرين ! فكنْ سلطاناً لنا يا غازينا ، أقبل وكنْ سلطاناً لنا ! »

وكان لازال متردداً ، فعمدت تلك الجموع المستوحشة التي لا يمكن عدم الوقوف عند ارادتها تتزامى على اطرافه تقبلها وحملته على الاكتاف وهو يتمايل من فوقها كانه من فوق بحر هائج ، وبعد ذلك تكلم من شرفة القصر ، وهو لازال تحت تأثير ذلك الضمّ الذي ضمه الشعب اليه ، وقد كسى ملامحه وقار ، تعلو رأسه عمامة رمادية اللون وتحفّ وجهه لحية أختلط فيها البياض بالسواد ، تكلم من شرفة القصر مطلاً على تلك الآلاف من الخلق المتهيجة ذات العمائم المتباينة الألوان التي كاد يذهب بها حماسها كل مذهب كما يفعل النسيم في حقل رصعه الربيع بشقائق النعمان ! تكلم نادر شاه فقال :

« حيث انكم قد اتفقتم على بيعتي فلا أرى لي مندوحة عن قبولها ، واني أضرع الى الله عزّ وجلّ بان يمدني بقوّة من عنده أتقوّى بها على تضحية نفسي في سبيل اعلاء كلمة الافغان حتى لا يعلو مرآة شرفه أدنى كلف » ثم سجد شكراً لله .

فدوت المدافع ، ودقت الطبول المهولة ، وتردّدت في الهواء اصوات المحاربين بما خامر قلوبهم من الفرح ، وكانت الساعة الثانية بعد الزوال ، والشمس في أشدّ تلألاها ، فاستوى نادر شاه قائماً ورمى ببصره نحو جبال الهندكوش المتوّجة بالثلوج والتي هي حصن من حصون الافغان وكانما على اكتافه احد يداب وغاب عن الابصار . . .

ذلك الاحد يداب ، هو من ثقل ذلك العبئ الذي قبل احتماله ، والذي أذاقه الآن كأس الحمام ! . . .

وقد تفضلت جلالته باقتبالي بعد تتويجه بيومين في قصر « دلكوشة » (الحبيب الى القلب) وكان من جملة القصور المنهوبة ، وقد كنت على بصيرة من حياته التي هي كلها فخار وكنت أعلم أنه تعلم بالبلاد الهندية في أحدى تلك الكليات الاسلامية التي يتخرّج منها رجال يضيفون الى المشاركة في العلوم كريم السجايا كما كنت اعلم انه جال كثيراً في الاقطار الاروبية ودرس احوالها وقابلها بغيرها وأنه يتقن اللغتين الانجليزية والافرنسية وكان في سنة ١٩١٩ قائداً للجيوش الافغانية التي كانت تحارب بريطانيا العظمى تلك الحرب التي كان من نتائجها الاعتراف باستقلال الافغان وقد حاز من ذلك الحين شهرة واسعة ، وبعد ذلك عين وزيراً للحرب الى سنة ١٩٢٣ ولعلّ شهرته اذاقت اذ ذاك لبعضهم مراره الارق خوفاً على مناصبهم فبعث سنة ١٩٢٤ سفيراً لبلاده في باريس ثم لم يلبث ان استعفى واستوطن مدينة نيس حيث مكث هناك مغضوباً عليه وان لم يكن ذلك ظاهراً عليه حتى دقت ساعة حلول الكوارث بوطنه فرجع اليه مسرعاً .

ولما وصلت لباب القصر ، وجدت الحرس قائماً بها ببدلتهم العسكرية واقفين وقفة الدفاع مدججين بالسلاح كانهم من فولاذ وفي حدائق القصر عساكر غيرهم جالسون حلقاً حلقاً وفي آذانهم باقات من زهر السوسان يغنون و يرقصون كانهم سكارى .

وحين كنت بقاعة الاستقبال أمكنني أن أمعن النظر في ذات الملك الذي أقبل علي من داخلها مصحوباً باخيه شاه والي خان يمشي وراءه ، أمعنت النظر في قامته وما كانت عليه من ظرف ورشاقة وفي مشيته الملوكية وانافة كسوته الافرنجية ، والذي أثر في نفسي كثيراً هو ما كان يلوح على وجهه الجميل الذي تعلوه سمرة من مخايل شجية وفي عينيه البعيدتين التي يخيل اليك من وراء نظارتها انهما يحنان الى وطن ما ، وفي رنة صوته الهاديء العذب اذ قال متنهداً : « ما عساه يكفي من زمان ومن أيدي لبيقة لترميم ما أصاب هذه البلاد من خراب في ما ديناتها وروحانياتها » وأكد لي ثانياً بلهجة ذات اخلاص يكاد يؤلم كونه لم يكن يشتهي أن يحمل عبئ الملك الثقيل وزاد قائلاً : « أرجو من الله أن يعينني على القيام بواجبي » وتغيرت رنة صوته الى حنان وقال : « ان فرنسا بلادك هي وطن لي بعد وطني ، قضيت بأرضها أخصب سني حياتي ولذلك فاني أودّ أن تستمرّ في ازدياد تلك السياسة سياسة التعاون الفكري التي كوّنها السلطان أمان الله بين أمتينا » ثم أخذ يشرح لي نواياه نحو بلاده فقال : « ان على عاتقي حملاً ثقيلاً ، يجب أن نبدأ قبل كل شيء بارجاع المياه الى مجاريها وترميم الخراب مع المحافظة بكل قوانا على استقلال البلاد ، ثم نأخذ في حمل سكانها على السير في طريق الحضارة العصرية مع اعمال الجهود في عدم جرح مالهم من عواطف التقديس نحو معتقداتهم وعتيق تقاليدهم » وكان في عزمه أن يفتح من جديد أبواب المدارس ويؤسس الكاليات ويعبّد السبل ويخطط الخطوط الحديدية وينعش صنائع البلاد .

وقد تقدم لهذه الجريدة أن صوّرت لقرائها كيف أخذ نادر شاه في اخراج هذه النوايا الى حيز العمل بنشاط لا يعرف الملل وكيف تمكن من المحافظة على ودّ ظاهري من الدول الاجنبية لبلاده وكيف أمكنه أن لا يفقد التوازن — مع ما في ذلك من صعوبات — بين جارتيه القويتين روسيا وبريطانيا العظمى .

وها أنا وقد مرت على ذلك الاستقبال أربع سنوات ، لا أزال أتبين ما كان يلوح على ذلك الوجه من نبل مؤثر في النفوس مع مخائل شجى وحزم وعزم ، وقد خطت الحوادث خطين على صفحة خديه الضعيفين ولا أزال أشعر بلطف ابتسامته وتحيته حين قام من المجلس وذهب منحني الرأس يخطو بهدوء وصلابة ، كان نادر

شاه رجلاً غير مغتر بالحياة اذ أنه أمكنه بفضل ذكائه أن يسبر غور ما في الملك من بهرجة كاذبة وما فيه من أذى ورغماً عن ذلك فانه لم يقصر في القيام بعمله بغير كلل الى آخر نفس من حياته تلك الحياة التي ختمت الآن بعنف كما كان يتوقع ختامها .

فما عسى يكون تحت هذه المأساة من أسرار يا ترى ؟ أهناك دسائس خفية تكوّنت بين جدران القصر أو وراء اروقة الحرم وستوره ؟ أم تلك مؤامرة قام بها مناصرو السلطان أمان الله أو بعض أفراد تلك القبائل القبلية التي كانت تهتف باسمه سابقاً وشقّت عصا الطاعة اخيراً ؟ أهناك يد أجنبية خفية أم ذاك انما هو عمل أحد المجانين كما يفهم من كلام مفوضية الافغان بباريس أدّى الى ازهاق تلك الروح الشريفة ؟ ذلك ما لا ريب ماسيبقى بين طيات الخفاء اذ البلاطات الملوكية في الشرق ملؤها اسرار فوق اسرار .

وما علينا الآن في حلّ ذلك اللغز حيث أن ابنه محمد ظاهر خان قد تمت له البيعة (وليس له من العمر الا عشرون سنة) وقد قضى معظم عمره بالديار الافرنسية وتعلم بمدرسة ميشلي الثانوية ولم يفارق أباه قط وقد شاركه في العمل في أواخر حياته جنباً لجنب ، فنحن متأكدون في أن نجد فيه صديقاً لا لبلادنا فحسب بل للثقافة الغربية كلها ، وهو على ما يقال ، ذو ذكاء وعزم ، فرجاؤنا أن لا تقف في سبيله عقبات ، وأن يدير دفة بلاده المبشرة بمستقبل زاهر على النهج الذي خطه والده نادر شاه ، وان يحمل — والكرامة تصحبه — ذلك العبئ الثقيل الذي جُعل على فتي عاتقه .

مدام أندري فيوليس

تعليق للمترجم : مدام أندري فيوليس من الكاتبات اللواتي برعن في الصحافة الاستطلاعية أي في ذلك النوع من الصحافة الذي يتطلب ، زيادة على معرفة واسعة بكثير من المعلومات وبراعة في فنّ الكتابة ، استعداداً فطرياً للبحث والسؤال والتنقيب واحتمال الاذى والشجاعة ، لأن الصحافي الاستطلاعي يرمي بنفسه بين الاقطار في البر والبحر شرقاً وغرباً ، وقد أوتيت صاحبة هذا المقال من ذلك كله حظاً وافراً امكنها ان تستطلع احوال كثير من البلاد الشرقية والغربية وكتبها عن الصين واليابان والافغان وروسيا وغير ذلك لازالت من المراجع التي يرجع اليها شاهدة بما لها من الاقتدار على ذلك النوع من الصحافة المحفوف بالاخطار ، وقد اعتبرت لها ذلك كله لجنة اجازة جريدة « أوربا » الجديدة حيث انها منحتها اخيراً تلك الاجازة لما كتبته عموماً ولكتابها عن اليابان خصوصاً ، وهي أول امرأة حازت جائزة من هذا القبيل ، وهي عازمة على العودة للشرق كما صرّحت بذلك لاحدى محرّرات جريدة « المرأة » في عددها الاخير الصادر في ١٨ نومبر ١٩٣٣ .

عبد الكبير الفاسي

صورة اخذت اثناء مأدبة اقامتها جمعية الوكلاء العدليين بالرباط (التفصيل بالعدد المقبل)